



المؤيَّسان وليد صليبي وأوغاريت يونان



**مقتطفات من سيرة بناء التربية والتدريب على
اللاعنف والمواطنة وحقوق الإنسان في لبنان،
على مدى ثلاثة عقود (منذ منتصف الثمانينيات).**

هما من رواد اللاعنف في لبنان والعالم العربي؛ ورواد التدريب الحديث والتربية اللاعنفية.

التقيا عام 1982، في 'قلب' الحرب العاصفة بلبنان، وانطلقا معًا في رحلة حياة ونضال مشتركة، رفيقا درب وحلم عملا على تجسيده يومًا بيوم وفي ظروف استثنائية، وتشاركوا في الفكر والنضال وابتكار البدائل، من أجل قيم اللاعنف واللاطائفية والحزبية والعدالة والحب.

اخترارا معًا، على غرار ما كتبه إريك فروم Erich Fromm حول "أن نكون أو أن نتملك" *"To Have or To Be"*، أن يكون لمسيرتهما في الحياة معنى وجوديًا إنسانيًا، بعيداً من عالم التملك والمناصب والشهرة... ومنذ البداية، في مطلع شبابهما، وجد كل منهما نفسه يختار الفكر والنضال معًا؛ خيار حياة.

التزامهما وأفكارهما أثرت في أكثر من جيل من الشباب والنشطاء ومن المثقفين والإعلاميين، وانتقلت إلى عشرات الهيئات والمؤسسات والبرامج المحلية والإقليمية، وعلمت أوائل المدربين اللاعنفيين، وكانت المرجع لتأسيس مجموعات ومبادرات وهيئات ونوادٍ وشبكات وحملات مدنية في لبنان والمنطقة.

هكذا باتا يُعرَفان بآتهما من رواد تجديد المجتمع المدني في لبنان في العقود الثلاثة الأخيرة.

المرة الأولى التي أطلقت فيها أوغاريت يونان التربية اللاعنافية من أجل مدرسة بديلة إنسانية، كان ذلك عام 1985. ومنذ ذلك الحين، وهي تنتقل من مدرسة إلى أخرى ومن تدريب إلى آخر في سائر المناطق اللبنانية، حيث تدرّب معها أكثر من ثلاثة آلاف تربويّ/ة من معلّمين ومدراء ومنسّقين ومعدّي مناهج ومدريّين وذوي مسؤوليات رسمية في الوزارات المعنية...

المرة الأولى التي أطلق فيها وليد صليبي استراتيجية علمية لنهج نضالي لاعنفي ووسائل مبتكرة لتحركات المدنية، كان ذلك عام 1983. ومنذ ذلك الحين، وهو ينقل هذا النهج مباشرة عبر تحركات وحملات مدنية، وعبر التدريب والنشر، وأيضاً بفعل العدوى الإيجابية. وبعض المفاهيم التي أطلقها تحوّل إلى مرجع.

وعلى الرغم من الظروف الاستثنائية وأجواء الحروب والعنف المتعدّد، التي واكبت مسيرتهما، وصعوبة التحدّث عن اللاعنف آنذاك ولفترة ليست ببعيدة، أكان في لبنان كما وفي سائر بلدان المنطقة، انطلقا وهما بعدّ في فترة الدراسة الجامعية، يبينان هذا النهج البديل ومنهجيّاته الحديثة في التربية وفي التغيير الاجتماعي.

عرفا أن النقطة الأساس لا بدّ وأن تكون في تكوين طاقات جديدة للمجتمع، حتّى في خضمّ مرحلة التفكّك. وعرفا أنه لا بدّ من تكوين تربية جديدة للنفوس، لاعنافية-لاطائفية، جذرية في الجوهر وفي المعالجات؛ فالثورة الاجتماعية تكون تربوية-ثقافية في العمق أو لا تكون.

قرّرا أن ينطلقا بشكل لا يشبه ما هو سائد في ذلك الزمن، وأصرّا على أن يتنقّلا في أرجاء البلاد رغم خطر الموت مراراً... وباشرا بإعداد مئات المتدريّين الشباب والنشطاء والتربويّين والنقابيّين في سائر المناطق، وبتدريب مخصّص لأعضاء ومؤسّسي الجمعيات الأساسية والواعدة كما النقابات ذات القوة المحورية في المجتمع.

كما باشرا ببناء مكتبة وترجمات من تراث اللاعنف العالمي، إلى تأليف محليّ وإصدارات رياديّة.

وانطلقت "كرة تلج" تراكمية، ضمّت منذ البداية مواطنات ومواطنين من كلّ لبنان... وانتشرت آنذاك عبارة عفوية تقول "ما رحت بعد تدرّبت مع وليد وأوغاريت!" مثقفون ووجوه فاعلة في المجتمع -كانوا بمعظمهم أكبر سنّاً منهما- أتوا ينضمّون إلى هذه المسيرة الجديدة التي لفتت انتباههم. قالوا: إنها رؤيا جديدة وسبّاقة في زمنها. هكذا وُلد التدريب الحديث في لبنان، في مجالات اللاعنف وحقوق الإنسان واللاطائفية والمواطنة وحلّ النزاعات والمسرح اللاعنفي والتربية اللاعنافية. وهو في العمق، لم يكن اسمه "تدريب"، بل حياة ومشاركة وبناء وتربية ونضال يومي.

قاما بكلّ ذلك وهما لا يعلمان أن نماذج من هذا العمل كانت انطلقت في أماكن متطوّرة في العالم، وقبل أن يبنيا صلات صداقة وتعاون مع رواد ثقافة اللاعنف في العالم. ذلك أن البداية كانت في زمن الحرب الأهلية، والزمن لم يكن بعد للإنترنت ولا الخلويّ، وحتّى الهاتف الثابت لم يكن "يجيب" في أكثر الأحيان، وحيث لم يكن هناك كمبيوتر بل آلة دكتيلو... أحياناً كثيرة، كانا يذهبان مباشرة إلى كلّ منطقة، بما في ذلك تلك المعتبرة خطيرة أو نائية أو حتّى محتلّة، فينقلان باليد الدعوة وبرنامج التدريب والوثائق المفيدة، أو يتحوّلان إلى "سائق" ينقل المشاركين بسيارتهما الصغيرة بين المعابر والحواجر...

وشيناً فشيناً، اتّضح أمامهما حلم "جامعة" من أجل الاحتراف في ثقافة اللاعنف وحقوق الإنسان والمواطنة؛ وانتظرا لسنوات قبل الإعلان عنه.

وعلى الرغم من صعوبات إضافية دخلت حياتهما من باب الصحة ومرارة الأيام، تحقّق المشروع الأول النموذجي للجامعة عام 2009، إلى الترخيص المؤسّساتي عام 2014، لتكون "أونور AUNOHR" أولى من نوعها في لبنان والعالم العربي وفريدة أيضاً في العالم. ومن أجل بناء مناهج جامعية في اختصاصات حديثة وأكثر من نصفها ريادي، ابتكرا عشرات المواد الأكاديمية، فكانت أيضاً قيمة مضافة.

هكذا، تعرّف "أونور" عن نفسها، للاحتراف الأكاديمي وللتغيير الاجتماعي معاً، أمينةً للحلم وللثراث اللذين مهّدا لها.